ميكيلانجيلو بوناروتى

Michelangelo Buonarrotti

٦ مارس سنة ١٤٧٥ — ١٨ فبراير ١٥٦٤

ولد ميكيلانجيلو يوم ٦ مارس سنة ١٤٧٥ بقرية « كابريزى » (مقاطعة توسكانا بايطاليا) حيث كان والده لودوفيكو بوناروتى عمدة لها ، وكانت عائلته من أشراف مدينة فلورانس ، ولكن عندما ولد ميكيلانجيلو كان العوز قد حل بالعائلة .

أدخل المدرسة ليتعلم القراءة والكتابة ولكن سرعان ما أظهر ميلا شديدا إلى الفن ، حاول والده وأعمامه أن يثنوه عن هذا الميل دون جدوى فقد أظهر تفوقا خاصا فى الرسم .

فى سنة ١٤٨٨ ، وكان قد بلغ الثالثة عشرة من عمره ألحقه والده باستوديو الرسام « دومنيكو جيرلانداپو Domenico Ghirlandaio (١٤٤٩ — ١٤٩٤) وكان يعتبر من أبرع رسامى العصر . بعد عام واحد اختلف مع أستاذه وترك الاستديو ليلتحق بمدرسة النحت التابعة لمزارع آل ميديشى فى حدائق سان ماركو . كانت هذه المدرسة تحت إشراف النحات «برتلدو» تلميذ النحات ذائع الصيت « دوناتللو » (١٣٨٦ — ١٤٦٦) وبرعاية « لورنزو » أحد كبار آل ميديشى .

اتجه ميكيلانجيلو إلى الطبيعة يتأملها ويشبع خياله منها ، كان دائم الذهاب إلى سوق السمك ليتأمل زعانف الأسماك وألوانها وأشكالها وخاصة ألوان أعينها وكل جزء منها مما جعله يصورها أدق تصوير فى رسومه الزيتية .

عندما ترك ميكيلانجيلو مرسم « جيرلانداپو » واتجه إلى النحت فالتحق بالمدرسة التى كان يرعاها « لورنزو دى ميدتشى » ، وكان يلقب بـ « لورنزو العظيم » ، حدث أن مر لورنزو بميكيلانجيلو وقد أتم نحت قناعا مقطب الوجه من قطعة رخام وأخذ يصقلها ، أعجب لورنزو بالقناع ولكنه قال لميكيلانجيلو « إنك قد عملت هذا القناع ويبدو عجوزا وتركت له كافة

أسنانه .... ألا تعلم بأن الرجال فى هذه السن لا يبقى لهم من أسنانهم سوى سنة أو سنتين ؟ — » سرعان ما أخذ ميكيلانجيلو الأزميل الذى يشتغل به — وبدون أى تردد — اقتلع سنة من الفك الأعلى . أعجب لورنزو بمهارة ميكيلانجيلو وبالطريقة التى اتبعها . استدعى لورنزو والد ميكيلانجيلو واتفق معه على أن يأخذ الفنان الصغير فى رعاية حاشيته ، وبقى ميكيلانجيلو ضمن حاشية الأمير إلى أن توفى هذا الأمير فى سنة ١٤٩٢ .

بعد وفاة لورنزو انتقل إلى فنسيا (البندقية) سنة ١٤٩٤ وتسلط على فكرة مذهب Savonarola وانكب على دراسة الكتاب المقدس دراسة عميقة مما ترك أثرا بارزا فى حياته وإنتاجه من الشعر والفلسفة فى الحياة . كان دانتى رائده بعد أن درس فلسفته وأعجب بها ، أما فى نطاق الفن الذى تربع على قمته فكان مثله الأعلى هو « جيرلاندايو » وغيره ، وقبل هؤلاء جميعا « دوناتللو » الذى سبق ذكره .

(مذهب Savonarola هذا هو المذهب الذى يرجع إلى صاحبه Girolamo Savonarola ، وهو راهب دومينيكانى(١٤٥٢ — ١٤٩٨) رئيس دير سان مارك فى فلورانس ، حاول أن يقيم فى فلورانس مؤسسة نصفها حكومة من رجال الدين والنصف الآخر حكومة ديموقراطية ، وقد انتقد البابا الكسندر السادس الذى أمر بتجريمه واتهامه بالزندقة والإلحاد وأعدم حرقا) .

كانت الحياة بالنسبة لميكيلانجيلو فى حدائق عائلة ميديتشى سعيدة هادئة ولم تتخللها أحداث ذات بال سوى ما رواه Torrigiano نفسه إذ قال « عندما كنا شبابا كنا نذهب إلى كنيسة « كارمينه » لنتعلم الرسم من المعبد ، وكان من عادة ميكيلانجيلو أن يمزح بسخرية من جميع الذين كانوا يرسمون هناك ، وفى يوم من الأيام أغضبنى أكثر من العادة فضربته بقبضة يدى بقوة على أنفه بدرجة أننى شعرت وكأن غضروف أنفه قد وقع على الأرض ، وأن تأثير ضربتى هذه على أنفه سيحملها معه إلى القبر » .

من سوء حظ ميكيلانجيلو أنه حمل أثر هذه الضربة إلى آخر يوم فى حياته .
(Pietro Torrigiano ١٤٧٢ — ١٥٢٨ ، كان منافسا لميكيلانجيلو فى مدرسة جيرلاندايو ، عرف بطباعه الشرسة . عمل بروما وبريطانيا وأسبانيا ، وأهم أعماله تمثال « سان ليونى » بمدينة سيفيليا (أشبيليه) فى أسبانيا .

فى هذه الفترة مر ميكيلانجيلو بأقوى تجربة عاطفية فى حياته ، وكما هو الحال مع كل فنان موهوب ، ترجمت هذه العاطفة إلى وقود فى عبقريته الفنية . كان ميكيلانجيلو قد قابل « لويجيا دى ميديشى Luigia de Medici فتاة من آل ميديشى رائعة الجمال ووقع فى غرامها ، ولما لم يجد تجاوبا من جانبها وجد عزاءه فى كتابه أشعاره الجميلة (كان يكتب الشعر فى قصائد من أربعة عشر سطرا . وتسمى (Sonnets)

(توجد قصائده الشعرية هذه أيضا عندما بلغ الستين من عمره وهى التى كان يترجم بها عواطفه نحو « فيتوريا كولونا » « Vittoria Colonna » أرملة مركيز مدينة بسكارا ، وكتب ميكيلانجيلو كثيرا من مثل تلك القصائد الشعرية فى غرامه الأفلاطونى بها) .

بعد أن توفى لورنزو العظيم سنة ١٤٩٢ — كما سبق أن ذكرنا — غادر ميكيلانجيلو سان ماركو وانكب على دراسة التشريح ووضحت دراساته هذه فى كل ما أنتجه من عمل بعد ذلك .

بعد ثلاث سنوات عاد إلى فلورانس شابا يافعا وبدأ يعطى العالم كثيرا من روائع فنه . فى هذه المدينة خطط رسما لبناء صالة مجلس المدينة وأتم عملين له هما Madonna di Manchester (عذراء مانشستر) و Deposizione (إنزال السيد المسيح من على الصليب) وهما موجودان فى « ناشونال جاليرى » بلندن . كما أنتج Cupido (الطماع) الذى بيع إلى كاردينال روما .

فى سنة ١٤٩٦ ، وكان يبلغ من العمر واحد وعشرون عاما . دعى إلى روما حيث أتم نحت « Bacco ebbro » الموجود بالمتحف الأهلى

بفلورانس (Bacchus هو اله الكرمه والنبيذ عند قدماء اليونان) ، كما أتم « Pieta » (الرحمة) الموجود بمتحف القديس بطرس بالفاتيكان مم وقد كان هذا العمل الأخير سببا فى شهرة واسعة له .

فى روما أيضا أتم ميكيلانجيلو تحت التحفة الفنية Madonna seduta con il Bambino in piedi (العذراء جالسة مع يسوع المسيح الواقف على قدميه) بناء على تكليف من اثنين من التجار الفلمنكيين ، وهذه التحفة موجودة فى الوقت الحاضر فى كاتيدرائية « بروج » ببلجيكا .

فى سنة ١٥٠١ كانت شهرة ميكيلانجيلو قد طبقت الآفاق ، عاد إلى فلورانس لكى يعهد إليه بأن ينحت تمثالا لـ « دافيد » David ، وهو يعتبر أجمل ما أنتجه ميكيلانجيلو ، تمثال رائع الجمال فى نحته وضخامته ودقة ملامحه ، نحته من قطعة رخام واحدة جلبها من رخام مدينا « كارارا » ارتفاعها أكثر من أربعة أمتار ونصف وأتم عمل التمثال فى ثمانية عشر شهرا وجاء بالغ الروعة والجمال . جلب عليه هذا التمثال حقد وحسد زملائه الفنانين المعاصرين له وأدى إلى اتساع شهرته أكثر مما كانت قد وصلت إليه .

هناك قصة تروى عن طريقة ميكيلانجيلو فى الرد على نقاده . حدث أن أحد المعجبين بفنه قال له بأنه يعتقد بأن أنف دافيد كبيرة نوعا ما ، أسرع ميكيلانجيلو فصعد على السلم وأخذ بيده الشاكوش والأزميل وأخفى بحفنة يده كمية من تراب الرخام متظاهرا بأنه يزيل جزءا من الأنف ساكبا تراب الرخام كما لو كان يتساقط من الأنف ثم صاح لصديقه « انظر إلى الأنف الآن . أجابه الناقد الصديق « إننى الآن أكثر إعجابا وسرورا ، إنك قد أعطيت حياة للتمثال » .

(داود النبى — كما هو معروف — هو ثانى ملوك اليهود (١٠١٥—٩٧٥ قبل الميلاد) وهو النبى والشاعر الذى بنى القدس ، هو صاحب المزامير المعروفة بمزامير النبى داود التى توصف بجمال إنشائها الموسيقى ، وعن حياته — كما جاء بالتوراه — مبارزته مع العملاق الجبار — جوليات — وقتله بضربة مقلاع) .

فى نفس السنة دخل ميكيلانجيلو فى مسابقة مع الفنان ذائع الصيت ليوناردو دافنشى لزخرفة صالة اجتماعات قصر الرئاسة Palazzo della Signoria بفلورانس وقدم كل من عملاقى الفن تخطيطه للصاله . ولسوء الحظ فقد التخطيطان بعد أن حظيا بإعجاب وتقدير فنانى عصرهما بما فيهم رافايللو .

فى هذه الفترة من حياة ميكيلانجيلو (١٥٠١ — ١٥٠٥) أتم تحفتين ، الأولى La Madonna col Bambino (العذراء ويسوع المسيح) وهى موجودة بمتحف « بارجيللو » بمدينة فلورانس . والتحفة الثانية San Giovannino وهى موجودة الآن فى الأكاديمية الملكية البريطانية بلندن .

فى نفس الفترة قام ميكيلانجيلو برسم العائلة المقدسة La Sacra Famiglia وهى موجودة بمتحف كاتيدرائية فلورانس ، وهى من أروع وأجمل ما رسمه وعبر بها عن سمو فنه .

فى سنة ١٥٠٥ وبعد فترة استجمام قصيرة اعتكف فيها على كتابة الشعر وقصائد الخيال استدعاه البابا « جوليو الثانى » إلى روما وطلب منه أن يقيم له ضريحا ضخما يحوطه أربعون تمثالا من البرونز ، بقى ميكيلانجيلو ثمانية أشهر بمدينة كارارا (موطن الرخام الجميل فى إيطاليا) لاختيار قطع الرخام اللازمة لإقامة الضريح والتى نقلها إلى ميدان بطرس الرسول أمام كنيسة القديس بطرس بروما ، ونتيجة للغيرة التى انتابت المشرف على ترميم الكنيسة ونحاتى الفاتيكان ترك ميكيلانجيلو العمل فجأة وسافر إلى فلورانس سنة ١٥٠٦ .

بعد عدة محاولات للعثور على ميكيلانجيلو توجه ميكيلانجيلو إلى البابا وحصل على عفو من قداسته فعهد إليه البابا بإقامة تمثال ضخم من البرونز لوضعه أمام واجهة كنيسة القديس « سان بيترونيو » ، وبعد خمسة عشر شهرا من الجهد الشاق أتم إقامة التمثال ولكن لسوء الحظ دمر هذا التمثال بعد أربع سنوات .

بعد إقامة قصيرة فى فلورانس استمرت حوالى ثلاث ستوات استدعاه البابا جوليو الثانى وعهد إليه بأن يرسم سقف المعبد فى كنيسة « سيستينا » الموجودة فى نطاق كنيسة القديس بطرس بالفاتيكان . حاول ميكيلا نجيلو أن يعتذر عن القيام بهذه المهمة مقترحاً العهده بهذا العمل إلى الفنان رافاييللو (سانزو رافاييللو الرسام الإيطالى ١٤٨٣ — ١٥٢٠ — كان كبير المهندسين المعماريين المشرف على القصور البابوية فى بلاط البابا جوليو الثانى والبابا ليون العاشر واشتهرت رسوماته الزيتية بالدقة وتوافق خطوطها وهدوء ألوانها وخاصة رسومات العذراء . ورغماً عن وفاته فى مقتبل العمر فقد ترك تحفاً رائعة مثل « العائلة المقدسة » و « المزروعات الجملية » و « القديس ميشيل يطارد الشيطان » و « القديس جورج » و ، وغيرها من الرسوم الزيتية الرائعة) . صدع ميكيلا نجيلو فى النهاية بأمر البابا وقام بهذا العمل من سنة ١٥٠٨ حتى سنة ١٥١٢ ليس فقط على السقف بل على حوائط المعبد مصوراً قصة خلق العالم وكل ما ورد بشأنها تقريباً فى كتاب « العهد القديم » (التوراه) بأسلوب فنى رائع وبتصوير فيه من الإبداع قل أن يكون له نظير ، وقد أصبح جمال هذا العمل وروعته مصدر إعجاب مذهل لكل من شاهده من كافة أنحاء العالم ، وقد عبر ميكيلا نجيلو عن الجهد والمشقة والصبر الذى عاناه فى إتمام هذا العمل فى قصيدة شعرية إلى صديق له مكونة من عشرين سطراً مطلعها « لقد أصبت بالغدة الدرقية فى هذا الخب . . وكلها وصف لما تحمله من مشاق جسدية ونفسية .

فى سنة ١٥١٣ عاد ميكيلا نجيلو إلى النحت وإلى المشروع الضخم لضريح البابا جوليو الثانى وظل يعمل فيه لمدة ثلاث سنوات مبدعاً فى فنه .

فى هذه الفترة انتج ميكيلا نجيلو أيضاً تمثال النبى « موسى » الموجود حالياً بكنيسة تسمى كنيسة « سان بيترو إن فينكولى » بروما ، ومما يحكى عن هذا التمثال وعن دقة ما بذله ميكيلا نجيلو فى نحته أن نظر إليه ميكيلا نجيلو بعد أن أتمه وفى يده شاكوش النحت ثم ضربه بالشاكوش على ركبته اليمنى وصاح (parli) أى « تكلم .

كما انتج فى نفس الفترة Gli Schiavi (العبيد) الموجود حالياً بمتحف اللوفر بباريس .

طلب منه البابا الجديد « ليون العاشر » انجاز واجهة كنيسة « سان لورنزو » ولكن ميكيلا نجيلو لم يتمكن من الاستجابة إلى طلب البابا ، وجاء بعده البابا كلمنت السابع الذى عهد إليه بأعمال أخرى انجزها .

على مدى عشر سنوات انشغل ميكيلا نجيلو باتمام ضريح البابا جوليو والتماثيل الضخمة لكنيسة آل ميديشى .

فى المدة من ١٥٢٧ إلى ١٥٣٤ انغمس ميكيلا نجيلو فى المسائل السياسية بمدينة فلورانس عندما عين قومبسيراً عاماً لتحصينات أسوار المدينة ، وعندما سقطت المدينة بايدى الغزاة وطرد منها آل ميديشى ترك ميكيلا نجيلو فلورانس نهائياً سنة ١٥٣٤ وعاد ليستقر مرة ثانية فى روما . عفا عنه البابا كلمنت السابع وعاد إلى انجاز العمل الذى سبق له أن تركه بروما .

عينه البابا الجديد بولس الثالث — وقد بلغ ميكيلا نجيلو الآن الستين من عمره — كبيراً للمهندسين المعماريين وفنان النحت والرسم للفاتيكان ، وعهد إليه بتنفيذ رسم Il Giudizio Universale (المحاكمة العلنية) — محاكمة السيد المسيح قبل صلبه — لإتمام كنيسة « سيستينا » ، هذا العمل الذى أخذ من عمر ميكيلا نجيلو ثمان سنوات ، وهو رسم زيتى ضخم بارتفاع عشرين متراً وبعرض عشرة أمتار والذى نال إعجاب العالم بأسره ، ولكن آثار عليه غيرة وحسد كافة منافسيه .

فى خلال هذه السنوات كان قد قابل سنة ١٥٣٨ الشاعرة الأرملة « فيتوريا كولونا Vittoria Colonna ، وكانت المرأة الوحيدة فى حياة ميكيلا نجيلو التقشفية النسكية ، كانت صداقته لها صداقة روحية ، كانت فيتوريا مصدر إلهام له للعودة إلى أحد مواهبه الأولى وهى الشعر فكان يكتب كثيراً من الشعر العاطفى ، وقيل بأن أشعاره هذه كانت تماثيل جميلة تنطق بأحلى الكلام ، ولكن فيتوريا توفيت سنة ١٥٤٧ فكانت

صدمة كبيرة له وعاش لفترة وكأنه قد جرد من حواسه . كتب ميكيلا نجيلو أجمل أشعاره فى رثائها ، وظل يكتب فى رثائها حتى سنة ١٥٥٤ .

فى هذه الفترة انتج ميكيلانجيلو أعمالا صغيرة وتخطيطات ورسومات ، ففى سنة ١٥٥٤ أتم رسم La conversione di San Paolo (هداية بولس الرسول : إلى المسيحية) ، و Il Martirio di San Pietro (شهيد — القديس بطرس) . وفى سنة ١٥٤٦ عمل فى تكملة وزخرفة قصر « فارنيزى » (مقر وزارة الخارجية الإيطالية الحالى) .

فى سنة ١٥٤٧ عين ميكيلا نجيلو مهندساً معمارياً لكنيسة القديس بطرس بالفاتيكان وإليه يرجع الفضل فى تعديل قبة الكنيسة إلى وضعها الحالى مما يعتبر عملا هندسياً فريداً . كما سبق له فى عام ١٥٣٨ أن أشرف على وضع تمثال Marco Aurelio فى ميدان Campidoglio بروما بعد أن أعاد تخطيط جانباً منه .

فى سنة ١٥٦٠ عمل ميكيلا نجيلو فى تعديل بعض أجزاء من كنيسة Santa Maria degli Angeli (العذراء مع الملائكة) . كما خطط لتمثال « جاكومو دى ميديش فى كاتيدرائية ميلانو (الدومو) . كما رسم بوابة « بورتا بيا » على مدخل شارع نومنتانا بروما سنة ١٥٦١ .

ظل ميكيلا نجيلو يعمل وينتج حتى بعد ظهر يوم ١٨ فبراير سنة ١٥٦٤ عندما انتهت أيامه ، وقد كتب صديقه « فارسارى » بأن ميكيلا نجيلو قد أعطى وصيته فى ثلاث جمل . أولها أنه قد أسلم روحه إلى يد الله ، وسلم جسده إلى الأرض . وسلم ما يملك إلى أقرب أقربائه .

مات ميكيلا نجيلو بالغاً من العمر تسعة وثمانين عاماً ألا خمسة عشر يوماً ، وبموته انتهت أيام رائد عصر النهضة ، عاش حياة شاقة وقال بأنه عاش وحيداً لسنوات طويلة ، كان يقول بأنه عاش متزوجاً متخذاً من فنه زوجة له ، وكانت هذه الزوجة تعنى الكثير جداً بالنسبة إليه .

كانت لميكيلا نجيلو صداقات على مستوى رفيع من البابوات والأمراء

ومن أهل الفكر والفن وكانوا يتشوقون إلى سماع أحاديثه عن الفن وعن دانتى الذى كان من المعجبين به والدارسين لفكره .

كان شاعراً بطبيعته وترك أغنية كانت من أحب أغانى عصره ، كانت تعبر عن محبته الشديدة لوطنه ولعاطفته الافلاطونية لـ « فيتوريا كولونا » ، بايمان وتدين عميق .

كان ميكيلا نجيلو يحنو على الأطفال ويحوطهم بعطفه ، وكان عطوفاً على أفراد عائلته كريما معهم مقترا على نفسه ، كان يأكل قليلا جداً ويعيش فى مساكن غاية فى التواضع ، كان يكتفى بقطعة من الخبز وهو فى غمرة عمله . هذا الزهد عن الطعام كان يقابله عدم قدرته على الحصول على قسط كاف من النوم لأنه كان يعانى دائماً من الصداع عندما يغفو وإنه إذا غلب عليه النوم لمدة طويلة أصيب باضطراب فى معدته . عندما يشتد عليه التعب وهو بكامل نشاطه يأوى إلى فراشه بكامل ملابسه حتى بحذائه الطويل الذى كان يلبسه بصفة مستديمة بسبب ما كان يصيبه على الدوام من شد عضلى . لم يكن ميكيلا نجيلو محباً لجمع المال وكان قنوعاً بما يكفيه لكى يعيش فى ميسره . قال الذين عاصروه وصادقوه أنه كان حاد الطبع سريع الغضب ومتعجرفاً بكبرياء ولكن كان غضبه سريع الزوال ، ورغماً عن ذلك فقد كان كريماً فى تعاونه وفى امتداحه لأعمال زملائه الفنانين ، ومع ذلك فقد كانت له طوال مشوار حياته أعداء لدودين .

دراسات ميكيلا نجيلو فى التشريح وصلت إلى مستوى رفيع فى رسوماته الزيتية وكان تأثيره على فنانى عصره بعيد الأثر ، ولم يكن من السهل عليهم أن يقلدوه او يطبقوا أسلوبه فى العمل .

كان ميكيلا نجيلو عملاقاً فى الفن وطبعت عبقريته على النحت والفن المعمارى والرسوم الزيتية ، وكان يعتبر النحت فناً يتميز عن باقى الفنون ولا يعلى عليه واستخدم فنه فى النحت فى إظهار عبقريته والتعبير بها عن معانى الجمال ، ولو أن نقاده قالوا بأن ميكيلا نجيلو فى رسومه الزيتية قد طغت عليه مفاهيمه فى النحت .

كان ميكيلا نجيلو عملاقاً فى عصر العمالقة . وهو أحد عباقرة الفن فى عصر النهضة الإيطالى . عاش حياتاً طويلة وشاقة عمل فيها بكل طاقته لكى يعطى جمالا إلى البشر . وستظل أعماله ما ظلت الحضارة على وجه الأرض تتحدث عن الجمال . الجمال الذى أبدعه ميكيلا نجيلو . وسيظل اسمه حياً على أفواه البشر . هذا هو العبقرى صاحب الأربع مواهب .

— مهندس معمارى قل أن يكون له نظير .

— أعظم نحات فى التاريخ .

— رسام يتربع على القمة .

— شاعر رقيق موهوب .

لا غرو إن قلنا بأن مكيلانجيلو بوناروتى ودانتى الليجييرى وليوناردو دا فنشى وسانزورافاييلو يمثلون العبقرية الخلاقة للجنس الإيطالى فى أبدع صـــورها .